الخُطبةُ الأُولَى:

الحَمدُ للهِ ذِي العَفوِ والحِلمِ، ذِي العطَاءِ والنعم، فارج الهم، كاشف الغم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الداعي إلى الأمن والسلم، اللهم صل عليه وسلم، وعلى آله وأزواجه وصحابته أهل المكارم، وأصحاب الشيم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أمَّا بَعدُ؛ فإنَّ أَصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأَحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ، وشَرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدعةٌ، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ، وكُلَّ ضَلالةٍ في النَّارِ.

عِبادَ اللهِ: إنَّنا أُمَّةُ العَفْوِ والصَّفْحِ، والْغُفْرانَ والتَّسامُحِ، وَهِيَ صِفاتٌ مَجيدَةٌ ، فِي أُمَّةٍ تَليدَةٍ.

العَفْوُ خُلُقٌ كَريمٌ ، خُلُقٌ نَبيلٌ تَأَصَّلَ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ، فالعَفْوُ والصَّفْحُ مِنْ صِفاتِ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠] وإنَّ مِن لُطفِ اللهِ –جل وعلا– بِعبادِهِ، ورحمتِهِ بخلقِهِ، أنَّه يعاملُهُم بعفوِهِ، ويقابلُ جَهْلُهُم بحلمِهِ، وذنوبُهُم بمغفرتِهِ، وتماديَهُم بإمهالِهِ، ومجاهرتُهُم بسترِهِ، وإعراضُهُم بلطفه، وجحودُهُم بإنعامه، بل وجرأتُهم عليه –جل وعلا– بصبرِهِ عليهِم، كما في الحديث: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» [أخرجه مسلم (٢٨٠٤) عن أبي موسى] فسبحانه! ما أعظمَ فضلَه! وأكبرَ جُودَه! وأجلَّ عفوَه! وأحسَن إحسانَه! وأوسعَ غُفْرانَه! يُبَارِزُه العبدُ بالذنوبِ، ثم يناديهِ العفُوُ الغفُورُ نداءً لطيفاً رفيقاً رحيماً «يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي» [أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) عن أنس] ويقولُ تعالى: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»[أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر]. ثُمَّ يُنَادِيْ المذنبينَ والمفرطِينَ، نداءَ العفوِ، ويدْعُوهُم دعاءَ المغفرةِ، مُطَّمِعًا لهم في رحمتِهِ، مُرغِبًا لهم في عفوِه، مُبينًا لهم عن كَرمِه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] تجرأَ عليهِ اليَهُودُ بأقبحِ الشتائمِ، ووصَفَهُ النصَارى بأسوأِ الصفاتِ، وادَّعى المُشرِكُونَ عليهِ أخبثَ التُّهمِ؛ لقدْ جاؤوا جميعًا بما تكادُ السماواتِ يتفطَّرنَ منه، وتَنْشقُ الأرضُ، وتخرُ الجبالُ هدًّا، جاؤوا بما يستحقون به المعاجلة بالانتقام، والمبادرة بالعقوبة، إلا أنه –جل وعلا– مع كل ذلك دعاهم إلى ساحة العفو، (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)

عِبادَ اللهِ العَفو خُلُقٌ نَبويٌ كَريمٌ، فهذا يعقوب –عليه السلام– رَغمَ مَا فَعَلَه أبناؤُه بِه مِنْ التحايلِ عليه، وحرمانه سنواتٌ طوالا من ابنه، آذوه أشدَّ الأذى، قالوا: إنَّه ضالٌ وهو أبوهم، فلم يتوعدُهُم بالويلِ والثبورِ، ولم يُقَاطِعهُم أو يُقْسِمُ أنْ لا يكلمَهُم ما داموا على قَيدِ الحَيَاةِ!! أبداً لم يفعلْ شيئاً من ذلك، ولا أقلَّ منه، وإنَّما قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم بعد سنين من الظلم والتحايل جاءوا إلى أبيهم : ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧] فما كان جوابه إلا أن: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]، ويوسفُ –عليه السلامُ– ورُغْمَ مَا عَانَاهُ بِسَبَبِ هَذا الفِعْلِ مِنْ إِخْوَتِهِ، وَبَعْدَ أنْ آثَرَهُ اللهُ عَليهِمْ مَا كَانَ مِنهُ إلا أنْ قَالَ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

سبحان الله! ليس عفواً –فحسب– ولكن دُعَاءَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُم، ويتجاوزُ عنهُم، وقَدْ سُئِلتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»[أخرجه الترمذي (٢٠١٦)].

آذاه قَومَه في بدايةِ الدعوةِ، واتهموه باتهاماتٍ باطلةٍ؛ كالكذبِ، والسحرِ، والجنونِ، والشِّعرِ، ووضعوا سَلَا الجَزُورِ على رَقَبَتِه الشَّريفة، ومنهم مَن خَنَقه حتى كادَ يقتله، وتآمروا على قتلهِ، لكن نجاهُ اللهُ –عز وجل–، وقتلوا أصحابَه، وضيقوا عليهمُ الخناقَ في مكةَ، ممَّا اضطرَّ الصحابةَ الكِرَام إلى الهجرةِ إلى الحبشةِ مرتين؛ هُروبًا مِنْ الظُلمِ والعذابِ الواقعِ بهم مِنْ قِبلِ كُفارِ قُرَيشٍ بمكةَ المكرمةَ، وحدثَ فِيها مِنْ الأحداثِ مَا يَجعلُ الحليمَ غَضْبان، ولكنه محمدُ بن عبد الله –صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه– لا ينتقمُ لنفسهِ أبدًا، إلا إذا انتُهِكَتْ محارمُ اللهِ تَعَالى.

فَلما كانَ فتحَ مكةَ دَخَلَ النبيﷺ وطافَ على بَعيرِهِ حَولَ الكعْبةِ المشرفةِ، ثم دخل البيت، وكبَّرَ في نواحيه، ووحَّدَ الله، ثم فتحَ باب الكعبةِ، وقريش قد ملأتِ المسجدَ صُفوفًا ينتظرون اللحظة الحاسمة، فكلٌ ينتظرُ قَدَره المحتوم، فخرج ووقفَ على بابِ الكعبةِ فقال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ " قَالُوا: خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» [السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢٠٠)].

• وموقفُ أبي سفيان بن الحارث ابنَ عمِّ النَّبي ﷺ لا يقلُ عجباً عن هذا الموقف! فَمَع ما لَقِيَه منه مِن الأذى يأتي يوم الفتح إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فيقول: اشفع لي عند رسول الله، فيقولُ أبو بكرٍ رضي الله عنه: ما أنا بفاعل! ثم أتى عمر فأبى وشدد في الكلام ! فأتى علياً فامتنع فقال: أشر علي قال: ادخل عليه وقل تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنّا لخاطئين.. ففعل! ولما سمع الرسولﷺ ذلك قال :(لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فأنشد أبو سفيان أبياتاً يقول فيها:

لَعَمْرُكَ إِنِّي حِينَ أَحْمِلُ رَايَةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى فَأَهْتَدِي
هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَدَلَّنِي ... عَلَى اللَّهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

فضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: «أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مَطْرَدٍ»[أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٤٦)].

وهذا زين العابدين علي بن الحسين من أكابر التابعين، كان في مجلسه وعنده أصحابه من العلماء والأشراف والوجهاء، وجميع طبقات المجتمع في مجلس حافل؛ لأنه رجلٌ عَالِمٌ، وهو أبو الفقراء، يَصْدَعُ للناسِ في نوائِبِهم، فكان جالساً، وكَانَ بَيْنَه وبين ابن عم له وهو حَسَنِ بْنِ حَسَنٍ شَيْءٌ، فَجَاءَ حَسَنٌ فَمَا تَرَكَ شَيْئًا إلا قَالَهُ، وَعَلِيٌّ سَاكِتٌ، ساكت لا يرد بشيء، فلما تشفى منه انصرف، ثم ذهب علي بن الحسين بعد أن أكمل مجلسه إلى بيته، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَتَاهُ عَلِيٌّ، فَقَرَعَ بَابَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ عَمِّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ، فهشَّمت هذه الكلمات العداوة المستحكمة في نفس حسن بن حسن، ولم يتمالك مشاعره، فتحولت مشاعر العداوة والبغض إلى مشاعر معاكسة، فجعل يتبعه فَالْتَزَمَهُ حَسَنٌ وَبَكَى حَتَّى رَثَى لَهُ، ثم قال: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه، فقال له علي بن الحسين: وأنت في حل مما قلت لي. [تاريخ الإسلام للذهبي (٦/٤٣٦)].

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

عِبـادَ اللهِ: قـال تعـالى: ﴿وَجَـزَاءُ سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِثْلُهَـا فَمَـنْ عَفَـا وَأَصْـلَحَ فَـأَجْرُهُ عَلَـى اللَّهِ إِنَّـهُ لَا يُحِـبُّ الظَّالِمِينَ﴾[الشورى: ٤٠]، وهذا من أبلغ الجزاء، حيث قال تعالى: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ الجزاءُ لكرمه سبحانه وتعالى، ومن أكرم من الله جل في علاه، نسأل الله من فضله.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[التغابن: ١٤]، ويقول رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»[أخرجه أحمد في المسند (٣٩٨/٢٤) عن سهل بن معاذ عن أبيه] وقال رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[أخرجه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة]، وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: «اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»[أخرجه أبو داود (٥١٦٤) عن عبد الله بن عمر].

وقد بين تعالى فضل العافين عن الناس، والكاظمين الغيظ فقال عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سلامة صدر المرء من الغش وخلو نفسه من نزعة الانتصار للنفس لهي سمة المؤمن الصالح الهين اللين الذي لا غل فيه ولا حسد، يؤثر حق الآخرين على حقه، ويعلم أن الحياة دار ممر وليست دار مقر؛ إذ ما حاجة الدنيا في مفهومه إن لم تكن موصلة إلى الآخرة؛ بل ما قيمة عيش المرء على هذه البسيطة وهو يكنز في قلبه حب الذات ويفرز بين الحين والآخر ما يؤكد من خلاله قسوة قلبه وضيق عطنه؟! إن العفو عن الآخرين ليس بالأمر الهين؛ إذ له في النفس ثقل لا يتم التغلب عليه إلا بمصارعة حب الانتصار والانتقام للنفس، ولا يكون ذلك إلا للكبار الذين استعصوا على حظوظ النفس ورغباتها ثم إن بعض الناس قد بلغ من القسوة ما لا يمكن معها أن يعفو لأحد أو يتجاوز عنه، لا ترون في حياته إلا الانتقام والتشفي ترونه إذا قدر لا ينتظر عفوه، يغضبه الجرم الخفي، ولا يرضيه العذر الجلي، حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح، ويعمى عن العذر وهو أبين من وضح النهار. ترونه ذا أذنين يسمع بإحداهما القول فيشتط ويضطرب ويحجب عن الأخرى العذر ولو كان له حجة وبرهان. ومن هذه حاله فهو عدو عقله، وقد استولى عليه سلطان الهوى فصرفه عن الحسن بالعفو إلى القبيح بالتشفي ومن أعظم ما يلفت النظر في العفو أن جعله الله خلقاً مفروضاً داخل الأسرة المسلمة بين الأب وأبنائه، والزوجة وزوجها، وهذه من روائع هذا الدين؛ فإن البيوت إذا قامت على التسامح، وشيدت على العفو، وزينت بالصفح، ساد فيها الحب، وخيَّمَت عليها السكينة، وأضاءت فيها التقوى.

أما إذا قامت البيوت على الغضب، وبنيت على الانتقام، وحاربت العفو، وطلَّقَتْ التسامح؛ لا أب يرحم، ولا أم تحنو، ولا والد يشفق، ولا والدة ترفق، ولا ابن يُبِرُّ، ولا زوجة تغفر، ولا أخت تعطِف، فإنه النَّكَد والشقاء، والتعب والعناء، ولذلك يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[التغابن: ١٤]، ثلاث كلمات: تعفوا، وتصفحوا، وتغفروا؛ إشارة إلى أهمية هذا المثل للأسرة المسلمة، والبيت المؤمن، وخيركم خيركم لأهله.

اللَّهُمَّ لا مَفَرَّ لنا إلَّا إلَيك، ولا مَلجأَ إلَّا إلَيك، اللَّهُمَّ انصُرِ المسلِمينَ على الرَّافضةِ والنُّصيْرِيَّةِ ومَن ناصَرَهم يا قويُّ يا عزيزُ.

اللَّهُمَّ ارحَمْ ضَعفَنا، واغفِرْ ذنبَنا، ما تقدَّمَ منه وما تأخَّرَ، وما ظَهَرَ وما بَطَنَ.

اللَّهُمَّ اغفِرْ ذنوبَنا، واستُرْ عُيوبَنا، وفرِّجْ كُروبَنا، وأحسِنْ خاتِمَتَنا، وأجِرْنا من خِزْيِ الدُّنيا وعَذابِ الآخرةِ، واعفُ عنَّا.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك أن تَنصُرَ المسلِمينَ في كُلِّ مكانٍ، اللَّهُمَّ انصُرْهم على مَن ناوأَهم وعادَاهم.

اللَّهُمَّ اهزِمِ الكفَّارَ، وأَنزِلْ بهم بَأسَك الَّذي لا يُرَدُّ عن القَومِ المُجرِمينَ.

اللَّهُمَّ رُدَّ كَيدَ الرَّوافضِ في نُحورِهم، وخلِّصْ بِلادَ المسلِمينَ من شَرِّهم وفِتَنِهم، واضرِبْ علَيهم ذُلًّا وهَوانًا مِن عِندِك.

اللَّهُمَّ احفظْ لِبلادِنا أَمنَها وإيمانَها وعقيدَتَها واستقرارَها، ورُدَّ كَيْدَ الكائدينَ في نُحورِهم، واقضِ على أَهلِ الفِتنةِ والفَسادِ والزَّيغِ والعِنادِ.

اللَّهُمَّ انصُرْ جُنودَنا المرابِطينَ في الحُدودِ، اللَّهُمَّ انصُرْهم بنَصرِك، وأيِّدْهم بتأييدِك، اللَّهُمَّ واخلُفْهم في أَهلِهم بخَيرٍ.

اللَّهُمَّ وفِّقْ وَلِيَّ أَمرِنا بتوفيقِك، وأيِّدْه بتأييدِك، اللَّهُمَّ وفِّقْه لِهُداكَ، واجعلْ عَمَلَه في رِضاك، واجْزِه اللَّهُمَّ عن الإسلامِ وأَهلِه خَيرَ الجَزاءِ.

عِبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى، ويَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكَرِ والبغيِ، يَعِظُكم لعلَّكم تذكَّرون؛ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذكُرْكم، واشكُرُوه على نِعَمِه يَزِدْكم، ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

أَعَدَّها

د. سعيدُ بن سعد آل حماد
www.alhmmad.net